الفصل الثاني والعشرون

الطرق إلى فايمار

١٧٣٣ – ٨٧

---

١ – أثينة ألمانيا

ترى لم أختار اسمى عصور الأدب الألمانى فايمار دون غيرها وطناً له ؟ ان ألمانيا لم يكن لها عاصمة واحدة تتركز فيها ثقافتها كما كانت الحال فى فرنسا وانجلتره ، ولم تكن تملك ثروة مركزة لتمويل هذه الثقافة. وكانت حرب السنين السبع قد أضعفت برلين وليبزج ، أما درسدن فكادت تدمرها تدميراً ؛ وأما همبورج فقد بذلت مالها أولا للأوبرا ، ثم للمسرح . وفى ١٧٧٤ كانت فايمار ، عاصمة دوقية ساكسى – فايمار –آيزيناخ ، بلدة هادئة يسكنها نحو ٦,٢٠٠ نسمة ، وحتى بعد أن ذاع صيتها أشار إليها جوته بـ « هذه العاصمة الصغيرة التى تضم – كما يقول الناس على سبيل المزاح عشرة آلاف شاعر وبعض السكان » (١) فهل مجدها يا ترى بناه افراد عظام ؟ .

لقد حكمت فايمار من ١٧٥٨ إلى ١٧٧٥ ابنة أخت فردريك الأكبر ، وهى المرأة المرحة ، الدوقة الأرملة آنا أماليه ، التى ترملت وهى فى الثامنة عشرة بموت زوجها الدوق قسطنطين ، وأصبحت وصية على ولدهما كارل أوجست الذى لم يتجاوز العام الواحد . وإليها يرجع الفضل فى فتح باب بين الحكومة والأدب بدعوتها فيلاند للحضور والقيام على تهذيب أبنائها (١٧٧٢). وكانت واحدة من نساء عديدات مثقفات حفزن الشعراء والمسرحيين

والمؤرخين تحت قيادتها وحتى موتها فى ١٨٠٧ بإغراء الجنس والمديح ، وقد حولت بيتها بعد عام ١٧٧٦ صالوناً ، شجعت فيه استعمال الألمانية لغة للأدب — رغم أن الجميع كانوا يتكلمون الفرنسية أيضاً .

وفى ١٧٧٥ كان بلاط فايمار يضم نحو اثنى عشر شخصاً واتباعهم . وقد وجد الشاعر الكونت كرستيان تسوشتولبرج فى هذا البلاط جواً ساراً خالية من الكلفة فى ذلك العام الذى وصل فيه بجوته . يقول « إن الدوقة العجوز (وكانت يومها فى السادسة والثلاثين) هى الفطنة المجسمة ، وهى مع ذلك لطيفة وطبيعية جداً . أما الدوق فغلام عجيب ، كله وعد وتبشير ، وكذلك أخوه . ثم هناك الكثير من الأشخاص الممتازين ».[٢] وفى ١٧٨٧ وصف شيلر « نبيلات فايمار » بأنهن « شديدات الحساسية وقل أن تجد بينهن واحدة لم تخض تجربة غرام ، وجميعهن يحاولن غزو القلوب . . . فهنا حكومة هادئة لا تكاد تحس بها ، تسمح لكل إنسان بأن يحيا ، وأن يصطلى فى الهواء والشمس . وإذا كان بالمرء ميل إلى المرح فكل الفرص متاحة له »[٣] .

وتقلد كارل أوجست حكم الدوقية فى ٣ سبتمبر ١٧٧٥ حين بلغ الثامنة عشرة . وما لبث أن اتخذ له زوجة بعد أن أجرى معاشاً على خليلته[٤] ، والزوجة هى لويزه أميرة هسى — دارمشتات ، ثم اقتنص جوته فى الطريق ، وكان يمارس الصيد فى ضراوة ، ويسوق مركبته فى تهور مخترقاً شوارع المدينة الهادئة ، ويتنقل على عجل بين النساء ؛ ولكن تهوره كبحه عقل نضج ببطء حتى بلغ القادرة على الحكم الصائب . وقد درس الزراعة والصناعة وبسط رعايته عليهما ، وشجع العلوم ، وأعان الأدب ، وجاهد لخير إمارته وشعبها . واستمع إلى مدام دستال التى جابت ألمانيا فى ١٨٠٣ تقول : « ليس بين الإمارات الألمانية كلها إمارة تشعرنا أكثر من فايمار بمزايا الدويلة حتى يكون أميرها رجلا قوى الفهم قادراً على السعى لإسعاد جميع طبقات رعاياه دون أن يفقد شيئاً من طاعتهم . . . ومواهب الدوق الحربية يحترمها الجميع ، وحديثه المثير المشرب بالتفكير يذكرنا على الدوام بأنه ربيب فردريك

العظيم . ولسمعته وسمعة أمه الفضل فى اجتذاب ألمع رجال العلم والثقافة إلى فايمار . ولأول مرة أصبح لألمانيا حاضرة أدبية كبرى»[٥] .

٢ — فيلاند : ١٧٣٣ — ١٧٧٥

كرستوف مارتن فيلاند هو أقل الرجال الأربعة ، الذين أذاعوا صيت فايمار ، شهرة بين الناس ، ولكن لعله كان أجدرهم بالحب . وقد عزفت على قيثارته كل مؤثرات جيله تقريباً ووفقت نغماتها كل بدوره . كان ابناً لراعى كنيسة فى أوبرهولتسهايم (قرب بيبراخ فى فورتمبرج) فنشىء على التقوى واللاهوت . فلما اكتشف الشعر جعل الرجل الفاضل كاوبشتوك مثله الأعلى ، ثم تحول إلى فولتير ترفيهاً عن نفسه . ثم وجد فى بلدة فارتهاوزن القريبة منه مكتبة الكونت فون شتاديون الضخمة ، فنهل من الأدبين الفرنسى والانجليزى ، ونفض عنه قدراً كبيراً من اللاهوت ، حتى لقد هزأ بإيمان صباه فى رواية سماها « دون سلفيو فون روزالفا » (١٧٦٤) . ونشر مترجمات نثرية لعشرين من مسرحيات شكسبير (١٧٦٢ — ٦٦) ، فأتاح بذلك لألمانيا لأول مرة نظرة إلى شكسبير ككل ، ويسر لكتاب التمثيليات الألمان مهرباً من الصيغة الكلاسيكية التى اتخذتها الدراما الفرنسية . وكان فنكلمان وآخرون أثناء ذلك يبشرون بالدعوة بالهيلينية ، وصاغ فيلاند لنفسه صورته الخاصة من هذه الدعوة فاتخذ نغمه أبيقورية خفيفه فى كتابه « قصص هزلية » (١٧٦٥) ، وجعل رجلا اغريقياً وهمياً البطل لأهم عمل نثرى ألفه وهو « تاريخ أجاثون » (١٧٦٦ — ٦٧) ، الذى وصفه ليسنج بأنه « الرواية الوحيدة اللائقة بالرجال المفكرين »[٦] .

وقد أراد فيلاند (البالغ ثلاثة وثلاثين عاماً) فى صفحاتها المطوفة أن يبسط فلسفته فى الحياة ، متمثلة فى المغامرات الجسدية والعقلية لرجل أثينى من عصر بركليس . قال فى المقدمة « لقد اقتضت خطتنا تصوير بطلنا وهو يجتاز شتى المحن » ، وهى محن من شأنها أن تربى الإنسان على الأمانة والحكمة دون الالتجاء إلى الحوافز أو الدعائم الدينية[٧] . وأجاثون (أى الطيب) ،

obeikandl.com

الشاب الوسيم ، يقاوم محاولة إحدى كاهنات دلفى لإغوائه ، وبدلا من ذلك يشعر نحو العذراء الساذجة « بسوخى » (النفس) بحب نقى وإن كان مشوباً . ويدخل عالم السياسة ، فيشمئز من تعصب الأحزاب ، ويندد بالناخبين لافتقارهم إلى المبدأ ، ثم ينفى من أثينا. وفيما هو يهيم فى جبال اليونان يقع على لفيف من النسوة التراقيات يحتفلن بعيد باخوس برقصات شهوانية عنيفة ؛ فيحسبنه باخوس ، ويكدن يخنقنه بعناقهن ، ثم تنقذه عصابة من القراصنة ، تبيعه عبداً فى أزمير لهبياس ، وهو أحدسوفسطائى القرن الخامس ق . م . ويشرح فيلاند فلسفة السوفسطائيين فى سخط فيقول :

« ان الحكمة التى جعل منها السوفسطائيون مهنة لهم كانت من حيث الكيف كما كانت من حيث الأثر النقيض للحكمة التى جهر بها سقراط . فالسوفسطائيون علموا فن إثارة أهواء الرجال (بالخطابة) ؛ بينما غرس سقراط فن سيطرة الإنسان على أهوائه . وقد بينوا كيف يظهر الإنسان أمام الناس حكيماً فاضلا ، أما هو فقد بين كيف يكون الإنسان كذلك . وهم شجعوا شباب أثينا على محاولة السيطرة على الدولة ، أما هو فبين لهم أنهم سينفقون نصف عمرهم ليتعلموا كيف يحكمون ذواتهم . وكانت فلسفة سقراط تفخر بالحياة مجردة من الغنى ، أما فلسفة السوفسطائيين فكانت تعرف كيف تحقق الغنى . كانت كيسة ، خلابه ، متقلبة ، مجدت العظماء . . . وعبثت بالنساء ، وتملقت كل شخص ينقدها ثمن التملق . كانت فى كل مكان لاتحس الغربة ، لها الحظوة فى البلاط ، وفى مخادع النساء ، ومع الطبقة الارستقراطية ، وحتى مع طبقة الكهان ، فى حين أن تعاليم سقراط . . . يحكم عليها الفضوليون بأنها عديمة النفـــع ، والمتبطلون بأنها عديمة المذاق ، والأتقياء بأنهـــا خطرة . » (٨)

وتتمثل فى هبياس كما يصوره فيلاند كل أفكار السوفسطائين ورذائلهم . فهو فيلسوف ، ولكنه حرص على أن يكون مليونيراً أيضاً . وهو يعتزم

أن ينشىء أجاثون المستقيم الخلق على أسلوب أبيقورى فى التفكير والعيش . ويزعم أن أحكم سياسة ينتهجها الإنسان أن يجرى وراء الأحاسيس اللذيذة، و « كل اللذات هى فى حقيقتها حسية » (٩) . وهو يضحك من أولئك الذين يحرمون أنفسهم من لذات هذه الحياة الدنيا أملا فى مباهج السماء التى قد لا تتحقق أبداً . « فمن ذا الذى رأى مرة أولئك الأرباب ، وتلك المخلوقات الروحية ، التى يؤكد (الدين) وجودها ؟ « فهذا كله حيلة يخادعنا بها الكهنة (١٠) . ويدين أجاثون هذه الفلسفة لأنها تتجاهل العنصر الروحى فى الإنسان وحاجات النظام الاجتماعى . ويقدمه هبياس إلى داناى المرأة الغنية الجميلة ، ويشجعها على اغوائه ، ويخفى عنه ماضى داناى حين كانت محظية . وترقص المرأة وتحمل أجاثون رشاقة جسدها مع سحر حديثها وموسيقى صوتها على أن يقدم لها حبه الخالص الطاهر . وتفسد داناى على هبياس مؤامرته إذ ترد حب أجاثون بمثله . ذلك أنها بعد أن تقلبت فى أحضان رجال كثيرين تجد تجربة وسعادة جديدتين فى حب أجاثون . وهى تتطلع إلى أن تبدأ مع أجاثون حياة جديدة أكثر طهراً بعد أن سئمت غرامياتها العديمة العاطفة . فتشتريه من هبياس ، وتعتقه ، وتدعوه لمقاسمتها ثروتها ؛ ولكن هبياس يبوح لأجاثون بماضى داناى وهى محظية انتقاماً منها . فيركب أجاثون البحر إلى سيراكيوز .

وهناك يكتسب سمعة طيبة بالحكمة والنزاهة ، فيصبح الوزير الأول للدكتاتور ديونيسيوس . وقد تخلى الآن عن بعض مثاليته :

« فلم يعد يحلم كما كان بتلك المثاليات الرفيعة عن طبيعة البشر . أو قل إنه انتهى إلى معرفة البون الشاسع بين الإنسان الميتافيزيقى ، الذى يفكر فيه المرء أو يحلم به فى خلوته المتأملة ، أو الإنسان الفطرى وهو خارج لتوه فى بساطته الفجة من يدى الطبيعة الأم ، وبين الإنسان الزائف الذى جعله المجتمع والقوانين والآراء والحاجات والتبعية والصراع المتصل بين رغباته وظروفه ، وبين مصلحته ومصلحة غيره ، وما يترتب على ذلك من ضرورة إخفاء مقاصده الحقيقية وسترها باستمرار — أقول إن هذا كله

جعل الإنسان كاذباً ، منحطاً ، مشوهاً ، متنكراً وراء مئات الصور الخداعة وغير الطبيعية . ولم يعد ذلك المتحمس ، الفتى الذى كان يخيل له أن تنفيذ مشروع عظيم سهل يسير كتصوره . وقد تعلم أن على المرء ألا يتوقع الكثير من الآخرين ، وألا يعتمد كثيراً على تعاونهم معه ، و(أهم من ذلك كله) ألا يثق كثيراً بنفسه . . . وتعلم أن أكثر الخطط كما هى فى الغالب أسوؤها (وأنه) لاشىء فى العالم الأخلاقى ، كما فى العالم المادى ، يتحرك فى خط مستقيم ، وبالاختصار أن الحياة أشبه برحلة بحرية يتعين فيها على الربان أن يكيف مسيره وفق هوى الريح والجو ، ولا يطمئن أبداً إلى أن التيارات المعاكسة لن تعطله أو تجنح بمركبه ؛ وأن كل شىء رهن بهذا : وهو أن يضع نصب عينيه ميناء الوصول الذى يقصده رغم مئات الانحرافات عن الطريق » (١١) .

ويخلص أجاثون الخدمة لسيراكيوز وينجز بعض الإصلاحات ، ولكن مؤامرة فى القصر تخلعه ، فيعتزل فى تارنتوم . وهناك يرحب به صديق قديم لأبيه هو الفيلسوف والعالم الفيثاغورى أرخيتاس (ازدهر ٤٠٠ — ٣٦٥ ق . م) الذى يحقق حلم أفلاطون بالملك الفيلسوف . وهناك يعثر على حبيبة صباه بسوخى ، ولكنها للأسف متزوجة من ابن أرخيتاس ، ثم يتبين أنها أخت أجاثون . على أن داناى يؤتى بها (بعصا الروائى السحرية) من أزمير إلى تارنتوم ، وقد هجرت عاداتها الأبيقورية لتحيا حياة العفة والبساطة . ويطلب إليها أجاثون أن تغفر له بعد أن أدرك أنه أثم بهجرانه أياها ، فتعانقه ، ولكنها ترفض الزواج منه ، فقد عولت على التكفير عن انحرافات الماضى بحياة الزهد والتعفف فى ما بقى لها من أجل . وتختتم القصة بأجاثون قانعاً قناعة لا تصدق بأن يعد المرأتين أختين له »

والكتاب تشوبه عشرات المآخذ . فبناؤه مفكك ؛ ومصادفاته ذرائع كسولة للتهرب من الصنعة الروائية ؛ وأسلوبه لطيف ولكنه شديد الاطناب ؛ وفى كثير من الفقرات يبتعد الفاعل عن الفعل حتى ينسى ؛ وقد هنأ أحد النقاد المؤلف بعيد ميلاده بأن تمنى له حياة طويلة طول جمله . ولكن « تاريخ

أجاثون » برغم هذا يعد من أعظم آثار عصر فردريك . وقد دلت استنتاجاته على أن فيلاند قد اصطلح مع الدنيا ، وأن فى الاستطاعة الآن أن يوكل إليه تعليم الشباب المندفع المتوتر وترويضه . فعين فى ١٧٦٩ أستاذاً للفلسفة فى إيرفورت . ومنها أصدر بعد ثلاث سنين « المرآة الذهبية » وهو كتاب بسط فيه أراءه فى التربية . وأفتتنت به آنا آماليا ، فدعته ليجرب نظرياته التربوية مع أبنائها . فذهب ، وأنفق ما بقى من عمره فى فايمار ، وفى ١٧٧٣ أنشأ مجلة (الرائد الألمانى) ، التى ظلت جيلا (١٧٧٣ — ٨٩) تحت قيادته أعظم المجلات الأدبية نفوذاً فى ألمانيا . وكان النجم الفكرى لفايمار حتى أتى جوته ، وحين اقتحم الكاتب الشاب الجرىء المدينة فى ١٧٧٥ ، رحب به فيـــلاند دون شعور بالغيرة ، وسيظل صديقه مدى ست وثلاثين سنة .

٣ — جوته بروميثيوس : ١٧٤٩ — ٧٥

١ — نشأته

تقلبت على يوهان فولفجانج فون جوته شتى التجارب منذ كان يجوب شوارع فرانكفورت — على — المين وهو واع بأنه حفيد عمدتها ، حتى سبعينياته التى كان لأحاديثه العارضة فيها الفضل فى إذاعة اسم كاتب سيرته إكرمان (كما أذاع جونسون اسم بوزويل) ، واستوعب كل ما وسع الحياة والحب والرسائل ان تمنحه ، راداً إياه — فى عرفان — حكمة وفنا .

وكانت فرانكفورت « مدينة حرة » ، يسودها التجار والأسواق ، ولكنها إلى ذلك المقر الذى خصصه الأباطرة لتتويج الملوك الألمان وأباطرة الدولة الرومانية المقدسة . وفى ١٧٤٩ كان يسكنها ٣٣,٠٠٠ نسمة جلهم تقى مهذب بشوش الوجه . وكان مولد جوته فى منزل متين ذى طوابق أربعة (دمره حريق فى ١٩٤٤ ثم أعيد بناؤه فى ١٩٥١) . وكان أبوه يوهان كاسبار جوته ابن خياط وفندقى ميسور الحال ، وقد دمر يوهان كاسبار مستقبله السياسى بالكبر والخيلاء ، واعتزل مهنة المحاماة مؤثراً حياة الدراسة الهاوية فى مكتبته

الأنيقة . وفى ١٧٤٨ تزوج كاتارينا اليزابث ، ابنة يوهان فولفجانج تكستور عمدة فرانكفورت . ولم ينس ابنها قط أنه عن طريقها ينتسب إلى الإشراف من غير حملة الألقاب ، الذين حكموا المدينة أجيالا قبل ذلك . قال لأكرمان وهو فى الثامنة والسبعين ، « نحن أشراف فرانكفورت كنا نعد أنفسنا دائماً مساوين لطبقة النبلاء ؛ وحين احتوت يداى إجازة النبالة (التى منحت له عام ١٧٨٢) لم أر أنى ظفرت بشىء أكثر مما كنت أملك منذ زمن طويل ».[١٢] وكان يحس أن « الأوغاد فقط هم المتواضعون »[١٣] .

وكان أكبر أطفال ستة ، لم يتجاوز الطفولة منهم غيره هو وأخته كورنيليا ؛ فى تلك الأيام كان الحنان الأبوى الكبير يعد عناء باطلا . ولم يكن بيتهم بالبيت السعيد ؛ فالأم لطيفة الطبع تميل إلى الفكاهة والشعر ، ولكن الأب حاكم صارم متزمت أقصى عنه قلوب أطفاله بخشونة طبعه وضيق خلقه . يقول جوته مستعيداً ذكرى طفولته « لم يكن فى الإمكان نمو علاقته سارة مع أبى »[١٤] . وربما اكتسب جوته منه كما اكتسب من تجربته عضواً فى مجلس شورى الدوق بعض التصلب الذى بدا عليه فى أخريات حياته . وربما أخذ عن أمه روحه الشاعرة وحبه للدراما . وقد بنت فى بيتها مسرحاً للعرائس ؛ ولم يفق ابنها قط من افتتانه بهذا المسرح .

وتلقى الأطفال تعليمهم المبكر على يد أبيهم ، ثم من معلمين خصوصيين . واكتسب فولفجانج الإلمام بقراءة اللاتينية واليونانية والانجليزية وبعض العبرية ، والقدرة على التحدث بالفرنسية والإيطالية . وتعلم أن يعزف على الهاربسيكورد والفيولنشيللو ، ويرسم ويصور بالألوان ، ويركب الخيل ويثاقف ويرقص ، ولكنه اتخذ الحياة خير معلم له . فارتاد كل نواحى فرانكفورت بما فيها حى اليهود ؛ وسدد النظرات الغرامية للفتيات اليهوديات الحسان ، وزار مدرسة يهودية ، وحضر حفلة ختان ، وكون لنفسه فكرة عن أيام اليهود المقدسة[١٥] . وأضافت إلى تعليمه أسواق فرانكفورت إذ جلبت إلى المدينة وجوهاً وسلعاً غريبة دخيلة ، وكذلك أضاف الضباط الفرنسيون فى بيت جوته إبان حرب السنين السبع . وفى ١٧٦٤ شهد الصبى ذو الخمسة

عشر ربيعاً تتويج يوزف الثانى ملكاً على الرومان ؛ وقد حفظ كل صغيرة وكبيرة فى الحفل ، وانفق عشرين صفحة على وصفه فى سيرته الذاتية [١٦] .

وحين ناهز الرابعة عشرة وقع فى أول غرام من غرامياته الكثيرة التى أثمرت نصف شعره.وكان فى تلك الآونة قد اشتهر ببراعته فى قرض الشعر ، فطلب إليه بعض الصبية ممن اختلط بهم أحياناً أن يكتب خطاباً منظوماً بأسلوب فتاه موجهاً إلى فتى ؛ فأحسن كتابته ، مما حملهم على أن يرتبوا تسليمه لعضو مقيم من جماعتهم على أنه مرسل إليه من حبيبته . وأراد الصبى أن يرد على الشعر بالشعر ولكن أعوزته الكفاية وخانته القوافى ، فطلب إلى جوته أن ينظم له رداً . فوافق ، وعرفاناً بجميله دفع العاشق نفقات نزهة خرجت فيها الجماعة إلى فندق فى إحدى ضواحى المدينة . وكانت الخادمة صبية مراهقة تدعى مرجريته — أو جرتشن اختصاراً ، وقد أطلق جوته اسمها على بطلة تمثيليته « فاوست » . وربما هيأته القصص الغرامية التى قرأها ، والرسائل التى كتبها ، لتذوق سحر الأنوثة فى الصبايا . كتب وهو فى الستين يقول « إن أول نوازع الحب فى شاب غشيم يتجه اتجاهاً روحياً بحتاً . ويبدو أن الطبيعة ترغب فى أن يدرك أحد الجنسين بحواسه الجمال والطيبة فى الجنس الآخر . وهكذا تكشف لى عالم جديد من الجميل والرائع بمرأى هذه الفتاه وبميلى الشديد لها » [١٧] . ولم يفقدذلك العالمبعدها قط ؛ فكانت المرأة بعد المرأة تحرك روحه الحساسة ، وتحركها غالباً بالتبجيل كما تحركها بالرغبة ؛ فحين كان فى الثالثة والسبعين وقع فى غرام فتاه فى السابعة عشرة .

وغلبه الارتباك لحظة وأعجزه عن التحدث إلى ساحرته . « ذهبت إلى الكنيسة مدفوعاً بحبى لها . . . ورحت خلال الخدمة البروتستنتية الطويلة أحدق فيها بملء عينى » [١٨] .ثم رآها ثانية فى فندقها جالسة فى المغزل . كما جلست جرتشن أخرى فى فاوست . واتخذت هى الخطوة الأولى الآن ، ووقعت فى ابتهاج الخطاب الغرامى الثانى الذى اصطنعه كأنه مرسل من فتاة . ثم قبض على واحد من الجماعة كان جوته قد أوصى جده به ، وهو يزيف سندات ووصايا ؛ فنهى فولفجانج أبواه عن مزيد من الاتصال بهؤلاء

الصبية ، ورحلت جرتشن إلى مدينة بعيدة ، ولم يرها جوته بعدها قط . وقد تضايق كثيراً حين علم أنها قالت «كنت أعامله دائماً على أنه طفل» [١٩] .

وكان الآن (١٧٦٥) راضياً تمام الرضى بالرحيل عن فرانكفورت ودراسة القانون فى جامعة ليبزج ، وراح ككل شاب طلعة يقرأ قراءات واسعة خارج الموضوعات المقررة لدراسته . وكان قد تصفح «قاموس بيل التاريخى النقدى» فى مكتبة أبيه ، وخرج منه بأذى كبير لإيمانه الدينى ؛ «ما إن وصلت إلى ليبزج حتى حاولت أن أتحرر كلية من صلتى بالكنيسة» [٢٠] . ثم أنفق فترة فى التنقيب فى الغيبيات والخيمياء وحتى السحر ، وهذا أيضاً دخل فى مسرحية «فاوسمت» . ثم جرب الحفر وصنع الرواسم من الخشب ، ودرس مجموعة الصور المعروضة فى درسدن ؛ وتكررت زياراته للمصور أويزر فى ليبزج . وقد ألم بكتابات فنكلمان بطريقة أويزر ، وعن هذه الكتابات وكتاب ليسنج «اللاوكون» تلقى أولى نفحات إجلاله للطراز الكلاسيكى . وكان هو وطلاب آخرون يعدون استقبالا حاراً لفنكلمان فى ليبزج حين وافاهم نبأ مصرعه فى تريست (١٧٦٨) .

وكان الإحساس بالجمال هو الغالب فى مدخله إلى العالم . ففى الدين لم يحب غير أسراره المقدسة ، المثيرة ، الغنية بالألوان . ولم يحب الفلسفة كما كتبها الفلاسفة ، باستثناء سبينوزا ؛ وكان يرتعد من المنطق ويهرب من كانط . وقد أحب الدراما ، وكتب مسرحية لا قيمة لها فى ليبزج ، ودأب على قرض الشعر كل يوم تقريباً ، حتى وهو يستمع إلى محاضرات القانون . والقصائد التى نشرها باسم «أغانى ليبزج» مكتوبة بأسلوب أناكريون ، فيها عبث ولهو ، وأحياناً إثارة وشبق :

ومع ذلك فأنا قانع تملؤنى الفرحة
إن هى جادت فقط ببسمتها الحلوة ،
أو إن استعملت وهى على المائدة
قدمى حبيبها وسادة لقدميهـا ؛

أو أعطتني التفاحة التي قضمتها ،
أو الكأس التي شربت منهـا ،
وكشفت عن ثديهـا المكنون
حين تنشد ذلك قبلتي [٢١] .

أكانت هذه مجرد منى؟ لافيما يبدو . ذلك أنه كان قد وجد في ليبزج رأساً جميلا — رأس آنيت شونكويف — راغباً في أن يلج على الأقل الدهليز إلى الحب . وكانت أبنة تاجر خمور يقدم وجبة الظهر للطلاب . وكان جوته يتناول طعامه هناك مراراً فاشتهاها . واستجابت لحرارة عاطفته بتحفظ حكيم ، وسمحت لرجال آخرين بأن يتقربوا منها ، فبدأ يغار ، وأخذ يتجسس عليها ؛ وتشاجرا ثم تصالحا ، وتشاجرا وتصالحا ، ثم تشاجرا وافترقا . ولقد ذكر نفسه حتى في هذه النشوات أنه حفيد عمدة ، وأن باطنه قرينا — هو حافز ودافع لجني نهم يطالب بالحرية في سبيل الاكتمال التام إلى مصيره المحتوم . وقبلت آنيت خطيباً غيره .

ورأى جوته في هذا هزيمة له ، وحاول نسيانها بالانغماس في اللذات . « لقد فقدتها حقاً وكان للجنون الذي انتقمت به لخطئي من نفسي بالعدوان على طبيعتي الجسدية بشتى الطرق المسعورة ، لألحق بعض الأذى بطبيعتي الخلقية — أقول كان له ضلع كبير جداً في إصابتي بالأمراض البدنية التي خسرت بسببها بعضاً من أفضل سني عمري» . [٢٢] واستسلم للاكتئاب ، وأصابه عسر هضم عصبي ، وابتلي بورم مؤلم في عنقه ، واستيقظ ذات ليلة على نزيف كاد يقضي عليه . وغادر ليبزج دون أن يظفر بدرجته الجامعية ، وقفل إلى فرانكفورت (سبتمبر ١٧٦٨) ليواجه تأنيب الأب ومحبة الأم .

ثم تعرف أثناء فترة نقاهته الطويلة إلى سوزانه فون كلتنبرج ، وكانت تقوية مورافية ، لطيفة ، عليلة . «كان صفاؤها وهدوء عقلها لا يبرحانها قط ، وكانت تنظر إلى مرضها نظرتها إلى عنصر ضروري في وجودها الأرضي

العابر » [٢٣] . وقد وصفها بعد سنين وصفاً فيه تعاطف وبراعة فى « اعترافات روح جميلة » . التى أدخلها فى كتابه « ولكنه سجل فى غير مبالاة مزاعمها من أن قلقه واكتئابه سببهما اخفاقه فى المصالحة مع الله . « كنت أعتقد منذ حداثتى إننى على علاقة طيبة جداً مع إلهى — لا بل انى تخيلت . . . انه قد يكون مديناً لى بدين لم يوفه بعد ، لأننى كنت من الجرأة بحيث رأيت أن عليه لى مأخذا يقتضى أن أغتفره له . وكان هذا الغرور قائماً على حسن نيتى الذى لا حد له ، وهو ما كان خليقاً بإلهى أن يعيننى عليه معونة أفضل كما بدا لى . وللقارىء أن يتصور كم من المرات دخلت فى منازعات مع أصدقائى حول هذا الموضوع ، ولكنها كانت تنتهى دائماً بغاية المودة والصفاء » [٢٤] .

ومع ذلك مرت به لحظات متفرقة من التقوى ، إلى حد الاختلاف إلى بعض جلسات الإخوان الموارفيين ، ولكن نفره من هؤلاء القوم البسطاء [٢٥] ، « ضعف ذكائهم » ، وسرعان ما ارتد إلى الجمع المتقطع بين الإيمان بوحدة الوجود والشك العقلانى .

وفى أبريل ١٧٧٠ رحل إلى ستراسبورج أملا فى نيل درجته القانونية . ووصفه زميل من الطلاب (وهو فى الحادية والعشرين) بأنه « فتى وسيم الوجه ، له جبين رائع وعينان واسعتان متقدتان « ولكنه أردف » ان التعامل مع هذا الشاب لن يكون أمراً يسيراً ، إذ يبدو أن له طبعاً جموحاً غير مستقر » [٢٦] . وربما كان مرضه الطويل سبباً فى إثارة أعصابه ؛ وكان « قرينه » أشد اقلاقاً له من أن ينيله الهدوء والاستقرار ، ولكن أى شاب تسرى النار فى دمه يستطيع أن ينعم بالهدوء ؟ وحين وقف أمام الكتدرائية الكبرى حياها بشعور الوطنية ، لا بوصفها كاثوليكية بل « معماراً ألمانياً ، معمارنا ، فالإيطاليون لا يستطيعون المفاخرة بشىء نظيرها ، وأقل منهم الفرنسيون » [٢٧] (ولم يكن قد رأى بعد إيطاليا ولا فرنسا) . « وصعدت وحيداً إلى أعلى قمة فى البرج . . . وغامرت من هذا العلو بأن أخطو إلى الخارج على افريز لا يكاد يبلغ ياردة مربعة . وقد أوقعت هذا الرعب

والعذاب على نفسي مراراً وتكراراً حتى أصبحت التجربة فى نظرى أمراً غير ذى بال » . (٢٨) وقد لاحظ أحد أساتذته أن « الهر جوته كان يسلك بأسلوب جعل الناس ينظرون إليه نظرتهم إلى دعى كاذب من أدعياء العلم ، وخصم مسعور لكل تعليم ديني . والرأى الذى أجمع عليه الكل تقريباً أن فى رأسه برجاً ناقصاً »(٢٩) .

وعملت التجارب الجديدة الكثيرة على تأجيج ناره . فقد التقى بهردر مرات خلال إقامته فى ستراسبورج . وكان هردر الذى يكبره بخمس سنوات ، هو الطرف المسيطر فى هذه اللقاءات ؛ وقد وصف جوته نفسه ، فى نوبة تواضع عارضة ، بأنه « كوكب » يدور حول شمس هردر . وأزعجته نزعة هردر الدكتاتورية ، ولكنه حفزه إلى قراءة الأغانى الشعبية القديمة ، وكتاب مكفرسن « أوسيان » ومسرحيات شكسبير (فى ترجمة فيلاند) . ولكنه قرأ أيضاً فولتير وروسو وديدرو ثم درس مقررات فى الكيمياء والتشريح والولادة ، فضلا عن مواصلة دراسة القانون . . . ثم انه واصل دراسته للنساء .

ذلك انه شعر بفتنتهن بكل ما فى الشاعر من حساسية مرهفة ، وكل ما فى الشباب من توهج كهربى . وبعد هذه الحقبة بسبعة وأربعين عاماً أخبر إكرمان بأنه يعتقد أن للأشخاص تأثيراً مغنطيسياً غامضاً على غيرهم ، وأكثره عن طريق تباين الجنس (٣٠) . فكانت تحركه خطرات الفتيات الخفيفة الرشيقة ، وموسيقى أصواتهن وضحكهن ، ولون أثوابهن وحفيفها ؛ وكان يحسد الزهرة التى كن أحياناً يزين بها مشدهن أو شعرهن على التصاقها بهن . وكانت الواحدة تلو الأخرى من هذه المخلوقات السحرية تستنفر دمه ، وتكبر فى خياله ، وتحرك قلمه . لقد أحب من قبل جرتشن وآنيت ، وعما قليل سيكون هناك لوته وللى وشارلوته ، ثم منا وأولريكه . أما الآن ، فى زيزنهايم (قرب ستراسبورج) ، فكانت افتنهن قاطبة — فردريكه بريون .

كانت الإبنة الصغرى (تسعة عشر ربيعاً فى ١٧٧١) لراعى كنيسة

المدينة ، الذى شبهه جوته بقسيس ويكفيلد الفاضل الذى روى جولد سمث قصته . والصفحات التى كتبها جوته عن فردريكه فى سيرته الذاتية هى أروع ما كتب فى حياته من نثر (٣١) . وكان يركب مراراً من ستراسبورج ليستمتع بما اتسمت به هذه الأسرة الريفية من بساطة لم تفسدها الحضارة . وكان يصطحب فردريكه فى نزهات طويلة لأنها كانت ترسل نفسها على سجيتها فى الهواء الطلق . وقد أحبته ، ومنحته كل ما طلب . « فى خلوة فى الغابة تعانقنا بعاطفة عميقة ، وتبادلنا أخلص التأكيدات بأن كلا منا يحب الآخر من أعماق قلبه ». (٣٢) ولكن سرعان ما راح يعترف لصديق بأن « المرء لا تزداد سعادته مثقال ذرة بنيله ما تمنى » .

وكان خلال ذلك يكتب باللاتينية رسالة الدكتوراه التى أكدت (كما أكد فبرونيوس) حق الدولة فى الاستقلال عن الكنيسة . وقد نالت موافقة الكلية الجامعية ؛ ونجح فى الامتحانات ؛ وفى ٦ أغسطس ١٧٧١ نال درجة الليسانس فى القانون . وجاء أوان الرحيل عن ستراسبورج . فركب إلى زيزنهايم ليودع فردريكه ، « وحين مددت إليها يدى وأنا على صهوة جوادى ، اغرورقت عيناها بالدموع . وأحسست بضيق شديد . . . وبعد أن نجوت آخر الأمر من انفعال الوداع ، تمالكت نفسى تماماً ومضيت فى رحلة هادئة مطمئنة » . (٣٣) أما تقريع الضمير فجاء بعد ذلك . « لقد انتزعت جريتشن منى ؛ وهجرتنى آنيت ؛ أما الآن فكنت مذنباً لأول مرة . فقد جرحت أحب قلب جرحاً فى الصميم ؛ وكانت فترة الندم الكئيب مع افتقادى ذلك الغرام المنعش الذى كنت قد ألفته — فترة عذاب أليم . . » (٣٤) انه شعور أنانى إلى حد محزن ، ولكن من منا ، فى تجارب الحب وزلاته ، لم يجرح قلباً أو قلبين قبل أن يظفر بقلب ؟ وماتت فردريكه دون أن تتزوج ، فى ٣ أبريل ١٨١٣ .

٢ — جوتز وفرتر

لم يمارس حامل أجازة القانون الجديد مهنة المحاماة فى فرانكفورت إلا كرهاً وكان يزور دارمشتات بين الحين والحين ، وأحس تأثير تمجيدها

للعاطفة فى وجدانه . وجاز الآن فترة من رد الفعل الشديد ضد فرنسا ، وضد الدراما الفرنسية وقواعدها الصارمة ، وحتى ضد فولتير . وراح يسيغ أكثر فأكثر شكسبير الذى عرض على خشبة المسرح طبيعة الإنسان حلالا كانت أو حراماً . فى هذا المزاج ، وفى عنفوان الشباب وحيويته ، كان مهيأ للحركة الزوبعية . فتعاطف مع رفضها للسلطة ، وإعلائها للغريزة فوق العقل ، وللفرد البطل فوق الجماهير الحبيسة فى سجن التقاليد . وهكذا كتب « جوتز فون برليشنجن » فى ١٧٧٢ — ٧٣ .

وكانت انجازاً ممتازاً من فتى فى الثالثة والعشرين : دراماً جمعت بين الحب والحرب والخيانة فى قصة تنبض بالحماسة للحرية ، وتنضح حيوية ، وتشد الانتباه من أولها لآخرها . أما جوتز هذا ففارس أطاح الرصاص بيمناه فى المعركة وهو فى الرابعة والعشرين (١٥٠٤) ؛ فركبت فى ذراعه يد حديدية أعانته على استعمال سيفه قاطعاً بتاراً كما كان من قبل ، وإذ رفض الاعتراف بأى سيد إلا الإمبراطور ، فقد أصبح واحداً من أولئك « البارونات اللصوص » الذين ادعوا باسم الحرية أن لهم مطلق السلطة على أرضهم إلى درجة سلب عابرى السبيل وشن الحروب الخاصة . وفى ١٤٩٥ أصدر الأمبراطور مكسمليان الأول مرسوماً يحرم الحروب الخاصة ، وإلا كان عقاب المذنب مزدوجاً — النفى بأمر الإمبراطور والحرم بأمر الكنيسة . ورفض جوتز ذو اليد الحديدية النفى لأنه يخالف الحقوق المتوارثة ، ودارت التمثيلية أول الأمر حول الصراع بين الفارس المتمرد وأمير بامبرج الأسقف . وإذ كان جوته يحب النساء أكثر كثيراً من حبه للحرب ، فإنه ركز الاهتمام على أوليده فون فالدورف التى ألهب جمالها وثراؤها رجالا كثيرين بالرغبة المشبوبة المستهترة . فى سبيلها نقض أدلبرت فون فايزلنجن ، وهو فارس « حر » آخر ، تحالفه مع جوتز وفسخ خطبته لماريا أخت جوتز ، وانحاز إلى الأسقف . ولعل جوته تذكر — فى حب فايزلنجن المتذبذب — عدم وفائه هو . وأرسل نسخة من التمثيلية إلى فردريكه بيد صديق قائلا « سيسرى عن فردريكة المسكينة بعض الشىء أن ترى العاشق الخائن يموت بالسم » (٣٥) .

وقد حور المؤلف التاريخ ليطوعه لمسرحيته ، فجوتفريد فون برليشنجن لم يبلغ فى نبله وشهامته مبلغ جوتز كما صوره جوته ؛ ولكن تعديلات كهذه تعد من قبيل الجواز الشعرى ، شأنها شأن القوافى المشوهة . كذلك يغتفر لجوته ذلك الحديث الخشن المتهور الذى أجراه على لسان بطله تعبيراً عن الفحولة . وحين أخرجت المسرحية فى برلين (١٧٧٤) أدانها فردريك الأكبر « تقليداً بغيضاً » لتلك « البربرية » التى رآها هو فى شكسبير ، كما رآها فولتير ؛ ثم دعا المسرحيين الألمان أن يلتمسوا نماذجهم فى فرنسا . وقد وافق هردر فردريك أول الأمر ، وقال لجوته « لقد دمرك شكسبير » (٣٦) ، ولكنه بعث بالنسخة المنشورة إلى أصدقائه مشفوعة بالتقريظ العظيم . « أمامكم ساعات من السحر . فهناك قدر غير عادى من القوة والعمق والإخلاص الألمانى الأصيل فى التمثيلية ، وإن كانت بين الحين والحين لا تعدو أن تكون تدريباً ذهنياً » (٣٧) . أما الجيل الأصغر فقد حيا جوته بوصفه أسمى تعبير عن حركة « شتورم » وطاب للقراء الألمان أن يسمعوا أخبار فرسان العصر الوسيط ، ورموز الخلق الألمانى الجبار . ولذ البروتستنت أن يسمعوا أصداء لوثر فى « الأخ مارتن » ، الذى يشكو من أن نذوره الفقر والعفة والطاعة نذور غير طبيعية ، والذى يصف المرأة بأنها « فخر الخليقة وتاجها » ، ويهش للخمر لأنها « تبهج قلب الرجل » ، ويقلب قولا مأثوراً قديماً بقوله أن « البهجة أم الفضائل كلها » (٣٨) . وحتى أبو جوته ، الذى اضطر أن يعاونه فى مهنة المحاماة والذى رأى فيه صورة لتدهور سلالة أبيه ، اعترف بأنه ربما كان فى الغلام خير رغم كل شىء .

وفى مايو ١٧٧٢ كان على المحامى الشاب أن يذهب فى مهمة قضائية إلى فتسلار ، مقر محكمة الاستئناف الامبراطورية . وراح يجول بين الحقول والغابات ومخادع النساء غير مكترث البته بالقانون ، وهو يرسم ويكتب ويستوعب . وفى فتسلار التقى بكارل فلهلم يروزاليم ، الشاعر والمتصوف ، وجيورج كرستيان كستنر ، وهو موثق وصفه جوته بأنه « يتسم بالسلوك الهادىء الرصين ، وبوضوح الرؤية ، . . . وبالنشاط الرزين الذى لا يكل » (٣٩) ،

وبلغ من ثقته بالترقى فى وظيفته أنه كان مرتبطاً بفتاة ليتزوجها . وقد وصف كستنر جوته وصفاً فيه سماحة وكرم :

« هو فى الثالثة والعشرين ، والإبن الوحيد لأب غنى جداً . وقد تقرر — وفقاً لمشيئة أبيه — أن يمارس المحاماة فى المحكمة هنا ، أما مشيئته هو فهى أن يدرس هومر وبندار وأى شىء آخر توحى به عبقريته وذوقة وقلبه . . . والحق أنه صاحب عبقرية أصيلة ، ورجل على خلق . وهو صاحب خيال ذو حيوية خارقة ، ويعبر عن نفسه بالصور والتشبيهات . . . ومشاعره عنيفة ، ولكنه يملكها عادة . وقناعاته نبيله ، وهو برىء تماماً من الهوى ويسلك كما يحب دون أن يعبأ إن كان سلوكه هذا يسر غيره ، أو هو السلوك العصرى ، أو السلوك المباح . وكل ألوان القهر بغيضة فى نظره . وهو يحب الأطفال ، وفى وسعه أن يلاعبهم ساعات بطولها . . . إنه رجل ممتاز تماماً »(٤٠) .

وفى ٩ يونيو ١٧٧٢ التقى جوته بخطيبة كستنر فى حفلة رقص ريفية ، واسمها شارلوته بوف . ثم زارها فى الغد ، ووجد فى الأنوثة فتنة جديدة . أما لوته هذه التى كانت يومها فى العشرين فهى أكبر الأخوات فى أسرة من أحد عشر طفلا . وكانت الأم ميتة والأب مشغولا بكسب قوته ؛ وقامت لوته بدور الأم للأطفال الكثيرين . ولم تؤثت بهجة ألفتاة الصحيحة البدن ونضارتها فحسب ، بل زادت عليهما جاذبية المرأة الشابة التى تؤدى فى بساطة وأناقة هندام مهام وظيفتها بكفاءة وحب وبشاشة . وسرعان ما وقع جوته فى غرامها ، فما كان فى استطاعته أن يظل طويلا بغير صورة أنثى تدفىء خياله . ورأى كستنر الموقف ، ولكنه لثقته مما يملك أبدى تسامحاً كريماً . أما جوته فقد سمح تقريباً بمزايا الخطيب المنافس ، ولكن لوته كانت دائماً تصده ، وتذكره بأنها مخطوبة . وأخيراً طلب إليها أن تختار بينهما ، ففعلت ، ورحل جوته عن فتسلار فى الغد (١١ سبتمبر) دون أن تختلج كبرياؤه إلا لحظة . وظل كستنر صديقه الوفى حتى مماته .

وقبل أن يعود جوته إلى فرانكفورت توقف فى ايرنبرايشتاين على الرين ، وهى موطن جيورج وصوفى فون لا روش . وكان لصوفى ابنتان « سرعان

ما جذبتني بشدة كبراهما مكمسليانه ، وإنه لإحساس لذيذ جداً حين يبدأ غرام جديد فى التحرك داخلنا قبل أن يخمد القديم تماماً . فعند غروب الشمس يود المرء أن يرى القمر يطلع على الجانب المقابل » (٤١) . على أن مكسمليانه تزوجت بيتر برنتانو ، وولدت بنتاً رشيقة اسمها بتينا ، وقعت فى غرام جوته بعد خمسة وثلاثين عاماً . وراض جوته نفسه على حياة فرانكفورت والمحاماة. ولكنه لم يرتض هذه الحياة تماماً ، فقد فكر حيناً فى الانتحار . يقول :

«كنت أملك فيما أملك من مجموعة كبيرة من السلاح خنجراً جميلا جيد الصقل . وكنت أضعه كل ليلة بجوار فراشى ، وقبل أن أطفىء الشمعة جربت إن كان فى استطاعتى أن أفلح فى إغماد السن الحاد بوصتين فى قلبى . فلما لم أوفق فى هذه المحاولة قط ، أقلعت أخيراً عن الفكرة بضحكى من نفسى ، وكففت عن كل أوهامى ووساوسى ، وصممت على أن أعيش .

«ولكى أستطيع هذا العيش فى بشر اضطررت إلى حل مشكلة أدبية ، تتحول فيها كل مشاعرى الماضية . . . إلى ألفاظ . فجمعت لهذا الغرض العناصر التى كانت تعتمل فى سنوات ، واستحضرت فى ذهنى الحالات التى أثرت فى وعذبتى أشد تأثير وعذاب ؛ ولكن شيئاً لم ينته إلى شكل محدد . فقد افتقدت الحدث ، أو الأسطورة ، التى يمكن فيها أن ترى هذه الحالات كلا متكاملا» (٤٢) .

وقدم محام من زملائه فى فتسلار هذا الحدث الذى يدمج هذه العناصر . فى ٣٠ أكتوبر ١٧٧٢ قتل فلهلم يروزاليم نفسه يأساً من حبه لزوجة صديق له ، بعد أن استعار مسدساً من كستنر . قال جوته وهو يستحضر الحدث « وبمجرد سماعى بنبأ موت يروزاليم . . . . تشكلت خطة « فرتر » فى ذهنى ، وتسابق الكل معاً من جميع الجوانب» (٤٣) . ربما ، ولكنه لم يبدأ تأليف الكتاب إلا بعد خمسة عشر شهراً . وواصل أثناء ذلك مغازلته لمكسمليانه برنتانو — التى كانت قد انتقلت مع زوجها إلى فرانكفورت — بمثابرة وإصرار جعلا الزوج يحتج ، فانسحب جوته .

وشتتت جهده ألوان مختلفة من المشروعات الأدبية المخفقة . فقد داعب

فكرة قص قصة اليهودى التائه من جديد ، وخطط زيارة يقوم بها اليهودى لسبينوزا ، وأن يبين أن الشيطان كما تدل جميع الظواهر منتصر على المسيح فى العالم المسيحى (٤٤) ، ولكنه لم يزد على عشر صفحات فى « اليهودى التائه » . ثم نظم هجائيات فى ياكوبى ، وفيلاند ، وهردر ، ولنتس ، ولا فاتر ، ولكنه وفق رغم ذلك فى كسب صداقتهم . وشارك فى كتاب لا فاتر فى الفراسة ، سمح له بأن يفحص قسمات دماغه ، وكانت النتائج مرضية لغروره . وكان حكم السويسرى « إن هنا ذكاء ، مع حساسية تؤججه . لاحظ الجبين النشيط . . . والعين السريعة النفوذ والفحص والافتتان . . . والأنف ، الذى يكفى فى ذاته إعلاناً عن الشاعر . . مع الذقن الفحل ، والأذن القوية المتسعة — فمن ذا الذى يرتاب فى العبقرية الكامنة فى هذا الدماغ ؟ (٤٥) ومن ذا الذى يستطيع تطبيق هذه المقاييس الدماغية ؟ » على أن ياكوبى قال إن هذا ممكن ، لأنه بعد أن زار جوته فى يوليو ١٧٧٣ وصفه فى رسالة إلى فيلاند بأن « عبقرى من قمة رأسه إلى أخمص قدمه ، رجل به مس من الجن ، كتب عليه أن يسلك وفق أوامر الروح الفردى » (٤٦) .

وأخيراً ، فى فبراير ١٧٧٤ ، كتب جوته الكتاب الذى أذاع اسمه فى طول أوربا وعرضها ، « آلام الفتى فرتر » . وكان قد أطال التفكير فيه ، وأطال ترديده فى تأملاته وخياله ، حتى لقد أطلقه الآن كما يقول « فى أربعة أسابيع . . . اعتزلت الناس كلية ، ومنعت زيارة أصحابى » (٤٧) . قال لأكرمان بعد خمسين سنة « كان ذلك خلقاً غذوته بدم قلبى كما يفعل طائر البطريق » (٤٨) . وقد قتل فرتر ليمنح نفسه السلام .

وكان ملهماً فى إنجاز الكتاب . استعمل شكل الرسائل ، محاكاة لقصة رتشردسن « كلاريسا » وقصة روسو « جولى » من جهة ، ومن جهة أخرى لأن هذا الشكل كان ملائماً للإفصاح عن العاطفة وتحليلها ، وربما لأنه فى هذا الشكل استطاع أن يستعمل بعض الرسائل التى كتبها من فتسلار لأخته كورنيليا أو لصديقه ميرك . وصدم شارلوته وكستنر بإطلاقه اسمها الفعلى

« لوته على بطلة حب واضح أنه يصف غرام جوته بعروس كستنر ، وكستنر يقابله فى القصة « البرت » الذى صوره المؤلف فى إطراء . وحتى اللقاء فى المرقص ، وزيارة الغد ، كانا فى القصة كما كانا من قبل فى الواقع . « منذ ذلك اليوم تستطيع الشمس والقمر والنجوم أن تسير سيرتها فى هدوء ، ولكنى لا أعى بنهار ولا بليل ، وكل العالم من حولى يتلاشى . . . لم يعد عندى صلوات أتلوها إلا لها »[٤٩] . على أن فرتر ليس جوته بالضبط : فهو أكثر عاطفية ، وأميل إلى البكاء والكلام المتدفق والرثاء لنفسه . ولكى يقود المؤلف القصة إلى نهايتها الفاجعة ، اقتضاه ذلك أن يغير فرتر من جوته إلى فلهلم يروزاليم . أما اللمسات الأخيرة فهى تحكى تاريخ ما حدث : يستعير فرتر ، كما استعار يروزاليم ، مسدس البرت لينتحر به ، وقصة ليسنج « إميليا جالوتى » ملقاة على مكتبه وهو يموت . « ولم يصحبه كاهن » إلى قبره .

كانت قصة « آلام الفتى فرتر » (١٧٧٤) حدثاً فى تاريخ الأدب وتاريخ ألمانيا . فقد عبرت عن العنصر الرومانسى فى الحركة الزوبعية ودعمته ، كما عبرت قصة « جوتز فون برليشنجن » من قبل عن العنصر البطولى . واستقبلها الشباب المتمرد بالمديح والمحاكاة ، وارتدى بعضهم السترة الزرقاء والصدرة الصفراء البرتقالية كفرتر ، وبكى بعضهم كفرتر ، وانتحر بعضهم باعتبار الانتحار الشىء « العصرى » الوحيد الذى يجب عمله . واحتج كستنر على الولوغ فى أسراره ، ولكن لم يلبث ان هدىء ، ولم يقل لنا أحد ان شارلوته شكت حين قال لها جوته « ان اسمك تنطقه آلاف الشفاه المعجبة بكل اجلال »[٥٠] . ولم يشارك رجال الدين الألمان فى هذا الاستحسان . وأدان واعظ همبورجى القصة لأنها دفاع عن الانتحار ، اما الراعى جوتسى ، عدو ليسنج ، فقد حمل على الكتاب ، وأدانه ليسنج لعاطفيته المفرطة وافتقاره إلى القصد الكلاسيكى[٥١] . وفى عشاء عام لأم القس ى. ك. هازنكمبف جوته فى مواجهته على « تلك القطعة الشريرة من الكتابة » ، ثم أردف « ليهد الله قلبك الضـــال » ! وأفحمه جوته بجواب

هادىء : « اذكرنى فى صلواتك »[٥٢] . وكان الكتيب أثناء ذلك يكتسح أوربا فى مترجمات عديدة ، منها ثلاثة فى فرنسا خلال سنوات ثلاث ؛ واعترفت الآن فرنسا لأول مرة بأن فى ألمانيا أدباً .

٣ — الملحد الشاب

كان لرجال الدين بعض العذر فى القلق على جوته ، لأنه كان فى هذه المرحلة يجهر بعداء الكنيسة المسيحية . كتب كستنر فى ١٧٧٢ يقول « انه يجل الدين المسيحى ؛ ولكن ليس فى الصورة التى يصوره بها لاهوتيونا . . . انه لا يتردد على الكنيسة ، ولا يتناول القربان ، ونادراً ما يصلى . »[٥٣] وكان جوته يكره على الأخص تأكيد المسيحية على الخطيئة والندم[٥٤] ، ويؤثر أن يأثم دون ندم . كتب إلى هردر (حوالى ١٧٧٤) يقول « ليت تعليم المسيح كله لم يكن هذا الهراء الذى يثير سخطى بصفتى بشراً ، مخلوقاً مسكيناً محدوداً ذا رغبات وحاجات ! »[٥٥] ووضع مخططاً لمسرحية عن بروميثيوس رمزاً للإنسان يتحدى الآلهة ، ولكنه لم يزد على مقدمة صدمت ياكوبى وأبهجت ليسنج . وما بقى منها هو أكثر تفجرات جوته المعادية للدين تطرفاً . يقول بروميثيوس :

غط سماءك يازيوس بالضباب الملبد بالغيوم ،
وإله — كما يلهو طفل يقطع رؤوس الشوك
على شجر البلوط وقمم الجبال !
فأنت لابد تارك أرضى قائمة .
وكوخى ، الذى لم تبنه ،
ومدفأتى التى تحسدنى على توهج نارها .
لست أعرف تحت السماء من هو أفقر منكم أيها الآلهه !
إنكم تغذون جلالتكم بالجهد من الضحايا وصلوات الرغبات .
ولولا حمق الأطفال والمتسولين المتعللين بالآمال
لماتت هذه الجلالة جوعاً .

حين كنت طفلا لا أعرف فى ماذا أفكر ،
كانت عيناى الضالتان تتطلعان إلى الشمس ،
كأن لها أذناً تصيخ السمع إلى شكاتى ،
أو قلباً كقلبى يرق لنفس معناة .
فمن ترى أعاننى على غطرسة الطاغية ؟
ومن أنقذنى من الموت ، من العبودية ؟
أليس هو قلبى المقدس المضطرم ،
هو الذى صنع هذا كله وحده ،
ولكنه لحداثته وطيبته ولأنه كان مخدوعاً ،
فهو يرفع الشكر لذلك النائم هناك ؛
أمجدك ؟ لماذا ؟
هل خففت مرة أحزان المثقلين بالهموم ؟
هل كفكفت مرة دموع المعذبين ؟
ألم يفطرنى بشرا ؟
ذلك الزمان الجبار والقدر السرمدى —
سيداى وسيداك . . .
ها أنذا قاعد هنا ، أصنع الرجال على شاكلتى ،
سلالة شبيهة بى :
تحزن وتبكى ، تفرح وتمرح ،
وتزدريك كما أزدريك .

ثم انتقل جوته ببطء من حضيض الإلحاد المغرور هذا إلى « حلولية» سبينوزا الأكثر تهذيباً . روى لافاتر أن « جوته قال لنا أشياء كثيرة عن سبينوزا ومؤلفاته ... فقد كان رجلا غاية فى الإنصاف والاستقامة والفقر ... وكل الربوبيين المحدثين قد أخذوا آراءهم عنه أولا . . . وأضاف جوته أن رسائله أطرف ما عرف العالم كله عن الاستقامة وحب البشر»[٥٦] ،

وبعد اثنين وأربعين عاماً قال جوته لكارل تسلتر إن أكثر الكتاب تأثيراً فيه هم شكسبير وسبينوزا وليناليوس [٥٧] وفى ٩ يونيو ١٧٨٥ كتب إلى ياكوبى بتسلمه كتابه « فى تعاليم سبينوزا » ، وتكشف مناقشته لتفسير ياكوبى لهذه التعاليم عن دراسة مستفيضة للفيلسوف — القديس اليهودى . كتب يقول « إن سبينوزا لا يبرهن على وجود الله ، انه يبرهن على أن الوجود (حقيقة المادة — العقل) هو الله . فليرمه غيرى لهذا السبب بالإلحاد ،أما أنا فأميل إلى أن أصفه وأثنى عليه رجلا تقياً جداً ، لا بل مسيحياً جداً ! . . . وأنا آخذ عنه أصح المؤثرات فى تفكيرى وسلوكى» [٥٨] .

وقد علق جوته فى سيرته الذاتية على رده على ياكوبى بقوله : «كنت لحسن الحظ قد أعددت نفسى . . . بعد أن انتحلت إلى حد ما أفكار وعقل رجل خارق للعادة . . . وهذا العقل ، الذى كان قد أثر فى تأثيراً حاسماً جداً ، وكتب له أن يؤثر تأثيراً عميقاً جداً فى أسلوب تفكيرى كله ، هو سبينوزا . ذلك أنني بعد أن بحثت فى العالم عبثاً عن وسيلة لتطوير طبيعتى الغريبة ، وقعت فى النهاية على كتاب « الأخلاق » لهذا الفيلسوف . . . فوجدت فيه مسكناً لعواطفى المشبوبة ، وتفتحت أمامى نظرة واسعة حرة تشرف على العالم الحسى والخلقى . . . ولم تبلغ بى الجرأة قط مبلغ الاعتقاد بأننى فهمت كل الفهم رجلا . . . ارتقى ، بدراساته الرياضية والربانية ، إلى ذرى الفكر ، رجلا يلوح ان اسمه حتى فى يومنا هذا ، يعين الحد الذى تقف عنده كل المحاولات التأملية » [٥٩] .

وقد أضاف مزيداً من الدفء لعقيدته الأسبينوزية فى الحلول (وحدة الوجود) بولعه الشديد بالطبيعة ، ولم يكن هذا الولع ابتهاجاً فحسب بمرأى الحقول النضرة أو الغابات الغامضة أو النباتات والأزهار المتكاثرة فى تنوع غزير ، بل إنه عشق أيضاً حالات الطبيعة الأكثر صرامة ، وأحب أن يشق طريقه خلال الريح أو المطر أو الثلج ، ثم صعوداً إلى قمم الجبال الخطرة . وكان يتحدث عن الطبيعة كأنها أم يرضع من صدرها رحيق الحياة ونكهتها . وقد عبر فى ملحمة من الشعر المنثور سماها « الطبيعة » (١٧٨٠) ، بوجدان

ديني ، عن استسلامه المتواضع للقوى الخلاقة المدمرة التي تكتنف الإنسان ، واندماجه السعيد فيها :

« الطبيعة ! انها تكتنفنا وتحضرنا ــ ونحن لا نستطيع الخطو خارجها ، ولا التعمق في داخلها . انها تتلقانا ، دون توسل إليها ولا تحذير ، في حلبة رقصها ، ثم ترافقنا في رقص سريع حتى تنهك قوانا ونخر من بين ذراعيها . .

« انها لا تفتأ تخلق الأشكال الجديدة ، فما هو موجود الآن لم يكن موجوداً قط من قبل ، وما فات لن يعود ؛ الكل جديد ، ومع ذلك فهو دائماً القديم .

انها تبدو وكأنها دبرت كل شيء للفردية ، ولكنها لا تعبأ مثقال ذرة بالافراد ، انها بانية أبداً ، هادمة أبداً ، ومصنعها لا سبيل للوصول ليه . . .

انها تملك الفكر ، وهي تتأمل باستمرار ، لا كإنسان ، بل كالطبيعة . أن لها عقلا كلي الشمول خاصاً بها ؛ وما من أحد يستطيع النفوذ إليه . . .

انها تسمح لكل طفل بأن يعبث بها ، ولكل أحمق بأن يحكم عليها ، والآلاف تعثر أقدامهم ولا يرون شيئاً ، ان فرحتها بالكل .

انها رحيمة ، وأنا أثني عليها وعلى كل أعمالها . انها حكيمة هادئة . لا يستطيع المرء أن يستخلص منها أي تفسير ، أو ينتزع منها عطية لا تعطيها بمشيئتها الحرة .

لقد وضعتني هنا . وسوف تقودني بعيداً . وأنا أوكل إليها نفسي ، ولها أن تفعل بي ما تشاء . فهي لن تكره صنعة يدها »[٦١] .

وفي ديسمبر ١٧٧٤ توقفت الدوق كارل أوبست بفرانكفررت في الطريق بحثاً عن عروس في كارلسروهي . وكان قد قرأ « جوتز فون برليشنجن » وأعجبته . فدعا مؤلفها للقائه . وذهب جوته ، ووقع من نفس الدوق موقعاً طيباً . وساءل الدوق نفسه ألا يجوز أن يصبح هذا العبقري الوسيم المهذب نجماً ساطعاً في بلاط فايمار . وكان عليه أن يعجل بالرحيل ، ولكنه طلب إلى جوته أن يلتقي به ثانية في رجوعه من كالسروهي .

كان جوته كثير الكلام عن القدر ، قليله جداً عن المصادفة . ولعله لو سئل لأجاب إن القدر — لا المصادفة — هو الذى جاء به إلى الدوق ، وأنه هو الذى صرفه عن حسن للى‌شوثيان إلى مخاطر فايمار وفرصها المجهولة .
أما للى هذه فكانت ابنة تاجر غنى فى فرانكفورت . وقد دعى جوته إلى حفل استقبال فى بيتها بعد أن أصبح الآن سبعاً من سباع المجتمع الراقى . وعزفت للى على البيانو عزفاً رائعاً ، واتكأ جوته على ركن منه وراح يحدق على مهل فى مفاتنها ذات الستة عشر ربيعاً وهى تعزف . « كنت أحس اننى أشعر بقوة جذابة غاية فى الرقة . . . ثم ألفنا أن نلتقى . . . وأصبحنا الآن ولا غنى للواحد عن صاحبه . . . وملكنى شوق لاسبيل إلى مقاومته »(٦١) .
فما أسرع ما ترتفع هذه الحمى الشهيرة ، التى فجرتها حساسية شاعر . قبل أن يدرك معنى ما فعل ، كان قد خطبها رسمياً (ابريل ١٧٧٥) . أما للى التى ظنت أنها اقتنصته وأمنته ، فراحت تعابث غيره . وشهد جوته ذلك فغلت مراجل غيظه .

فى هذه الفترة بالضبط مر صديقان هما الكونت كرستيان والكونت فريدريش تسو شتولبرج بفرانكفورت فى طريقهما إلى سويسرة . واقترحا على جوته أن ينضم إليهما . وحثه أبوه على الذهاب ومواصلة الرحلة إلى إيطاليا . « وانفصلت عن للى بعد أن أفضت إليه ببعض السر ولكن دون أن استأذن قبل الرحيل »(٦٢) .

وقد بدأ الرحلة فى مايو ١٧٧٥ ، والتقى بالدوق ثانية فى كارلسروهى ، فدعاه بصفة نهائية إلى فايمار . ومضى إلى زيورخ ، حيث التقى بلافاتير وبودمير . وتسلق سانت جوتهارد وتطلع باشتياق إلى إيطاليا ، ثم تسلطت على خياله من جديد صورة للى ، فترك أصحابه ويمم شطر وطنه ، وفى سبتمبر كانت للى بين زراعيه . ولكنه ما أن خلا إلى نفسه فى حجرة حتى عاوده خوفه القديم من الزواج سجناً وركوداً . وأنكرت للى تردده ، فاتفقا على فسخ خطبتهما ، وفى ١٧٧٦ تزوجت برنهارت فون توركهايم .

أما الدوق الذى ألم بفرانكفورت فى طريق عودته من كارلسروهى

obeikandi.com

فقد عرض على جوته أن يرسل إليه عربة تقله إلى فايمار . ووافق جوته ، ودبر أمره ، وانتظر اليوم الموعود . ولكن العربة لم تأت . أفكان ذلك عبثاً وخديعة ؟ وبعد أن قضى أياماً من التلبث المغيظ انطلق فى رحلته إلى إيطاليا . ولكن العربة الموعودة لحقته فى هيدلبرج ، وقدم مبعوث الدوق التفسيرات والاعتذارات ، فقبلها جوته . وفى ٧ نوفمبر ١٧٧٥ وصل إلى فايمار ، وكان يومها فى السادسة والعشرين ، ممزقاً كعادته دائماً بين إله الغرام والقدر ، تهفو نفسه إلى النساء ولكنه مصمم على أن يصير إنساناً عظيماً .

٤ — هردر ١٧٤٤ — ١٧٧٦

لم يمض شهر على وصول جوته إلى فايمار حتى أنهى إلى الدوق اقتراحاً مشفوعاً بموافقته الحارة ، هو اقتراح فيلاند بأن تعرض على يوهان جوتفريد هردر وظيفة المشرف العام على اكليروس الدوقية ومدارسها . ووافق الدوق . أما هردر فقد ولد بمورنجن فى بروسيا الشرقية (٢٥ أغسطس ١٧٤٤) ، فهو من حيث الجغرافيا وضباب البلطيق قريب إيمانويل كانط . وكان أبوه معلماً فقيراً وقائد فرقة ترتيل تقوى النزعة ، وهكذا كان للصبى أوفر نصيب من الشدائد . فمنذ كان فى الخامسة كان يشكو ناسورا فى عينه اليمنى . واضطرته ضرورة المشاركة بعد قليل فى موارد الأسرة إلى ترك المدرسة والاشتغال سكرتيراً وخادماً لسبستيان تريشو ، الذى كان يكسب رزقاً طيباً بتأليف كتيبات فى التقوى . وكان لديه مكتبة استوعبها يوهان . فلما بلغ الثامنة عشرة أرسل إلى كونجزبرج لإزالة الناسور ولدراسة الطب فى الجامعة . على أن الجراحة أخفقت ، وقلبت فصول التشريح معدة الشاب فانصرف عن الطب إلى اللاهوت .

وتصادق مع هامان الذى كان يعلمه الانجليزية مستعملا هاملت نصاً ، وحفظ هردر المسرحية كلها تقريباً عن ظهر قلب . واختلفت إلى محاضرات كانط فى الجغرافيا والفلك وفلسفة فولف . وبلغ من حب كانط له أنه أعفاه من الرسم الذى يحصل من الطلبة نظير حضورهم المحاضرات . وكسب هردر قوته بالترجمة وتدريس التلاميذ الخصوصيين ، ثم قام بالتدريس فى مدرسة

الكتدرائية بمدينة ريجا من سن العشرين إلى الخامسة والعشرين . وحين بلغ الحادية والعشرين رسم قسيساً لوثريا ، وفى الثانية والعشرين أصبح ماسونيا (٦٣) ، وفى الثالثة والعشرين عين مساعداً للراعى فى كنيستين قرب ريجا . ودخل عالم النشر فى الثانية والعشرين بكتاب فى الأدب الألمانى الحديث ، ثم أضاف إليه جزءاً ثانياً وثالثاً بعد عام . وراعت ثقافة المؤلف الشاب كانط وليسنج ونيقولاى ولا فاتر — وامتدحوا دعوته إلى أدب قومى متحرر من الوصاية الأجنبية .

واستبق هردر الموضة « الفرترية » بوقوعه فى غرام يائس بامرأة متزوجة . واشتدت معاناته من الاكتئاب والغم فى بدنه وعقله ، فمنحه رؤساؤه أجازة ينقطع فيها عن عمله ، ووعدوه بأن يوظفوه من جديد براتب أعلى عند عودته . واقترض مالا ، ثم غادر ريجا (٢٣ مايو ١٧٦٩) ولم يرها ثانية قط . وركب البحر إلى نانت ، وأقام فيها أربعة أشهر ، ثم مضى إلى باريس والتقى بديدرو ود الامبير ، ولكن أحداً لم يستطع اقناعه بالانحياز إلى التنوير الفرنسى .

وذلك أن ميله الفطرى كان جمالياً (استطيقيا) أكثر منه عقلياً . ففى باريس بدأ يجمع الشعر البدائى ، ووجد فيه متعة تفوق ما فى أدب فرنسا الكلاسيكى . وقرأ كتاب مكفرس : « أوسيان » فى ترجمة ألمانية ، وحكم بأن هذه التقليدات البارعة أروع من معظم الشعر الانجليزى الحديث بعد شكسبير . ثم بدأ فى ١٧٦٩ مقالات فى النقد الفنى والأدبى أطلق عليها اسم (الغياض) ، ونشر ثلاثة مجلدات منها فى حياته بعنوان (غابات من النقد) . وفى فبراير ١٧٧٠ أنفق أربعة عشر يوماً فى اتصال مثمر مع ليسنج فى همبورج . ثم صاحب أمير هولشتين — جوتورب معلماً ورفيقاً . وجاب معه ألمانيا الغربية . وفى كاسل التقى برودلف راسبى ، أستاذ الآثار والمؤلف القادم لكتاب « قصة البارون مونتشاوزن عن أسفاره وحملاته العجيبة فى روسيا » (١٧٨٥) . وكان راسبى قد استرعى اهتمام ألمانيا بكتاب توماس برسى « مخلفات من الشعر الانجليزى القديم » سنة ظهوره (١٧٦٥) .

وتقوى هردر فى إيمانه بأن واجب الشعراء أن يهجروا الدعوة الفنكلمانية اللسنجية لتقليد الكلاسيكيات اليونانية ، وأنه أخلق بهم أن يتشبثوا بالمنابع الشعبية لتقليد أمتهم فى الشعر الفولكلورى والتاريخ القصصى الغنائى .

وانتقل هردر مع الأمير إلى دارمشتات ، فالتقى بجماعة « الحساسين» فيها . وراقه إعلاؤهم شأن العاطفة ، وخص بالتقدير عواطف كارولينية فلا خسلاند ، الأخت اليتيمة لزوجة عضو المجلس الخاص اندرياس فون هسى ، ودعى هردر للوعظ فى كنيسة محلية ، فسمعته ، وتأثرت بوعظه ، وتمشيا معاً فى الغابات ، وتلامست أيديهما فانعطف قلبه ، وعرض عليها الزواج ولكنها نبهته إلى أنها تعيش على صدقة أختها ، وأنها لن تستطيع أن تدفع له مهراً ، ورد هو بأنه مثقل بالدين ، وأن المستقبل أمامه غامض جداً ، وأنه ملتزم بمرافقة الأمير . وتعاهدا بألا تكون خطبة رسمية ، ولكنهما اتفقا على تبادل الحب بالرسائل . ثم رحلت جماعته إلى مانهايم فى ٢٧ أبريل ١٧٧٠ .

فلما وصلوا إلى ستراسبورج ترك هردر الأمير رغم شوقه لرؤية إيطاليا . ذلك أن الناسور الذى فى غدته الدمعية سد القناة الدمعية الموصلة إلى المنخر فأصابه بألم لا يهدأ . ووعده الدكتور لوبشتين أستاذ أمراض النساء فى الجامعة بأن الجراحة ستزيل الانسداد فى ثلاثة أسابيع . واستسلم هردر ، دون مخدر ، للثقب المتكرر لقناة خلال العظم إلى ممر الأنف . ولكن الجرح بدأ يتلوث ، وظل هردر ستة أشهر تقريباً حبيس حجرته فى الفندق وقد فت فى عضده فشل الجراحة ، وران عليه اكتئاب بسبب شكوكه فى مستقبله . فى هذه الحالة النفسية من المعاناة والتشاؤم ، التقى بجوته (٤سبتمبر ١٧٧٠) . ويذكر جوته هذه الفترة فيقول « أتيح لى أن أحضر الجراحة وأن أكون نافعاً فى نواحى كثيرة »[٦٤]. وقد ألهمه رأى هردر القائل بأن الشعر ينبثق غريزياً فى الشعب ، لا من « بضعة رجال مهذبين مثقفين »[٦٥]. وحين رحل هردر وقد نفد ما معه من مال ، « اقترض جوته مبلغاً من أجله » رده هردر فيما بعد .

obeikandl.com

ثم قبل على مضض دعوة من الكونت فلهلم تسوليبي ، حاكم إمارة شاومبورج — ليبي الصغيرة فى شمال غربى ألمانيا ، ليعمل واعظاً لبلاطه ورئيساً للمجلس الكنسى فى عاصمته المتواضعة بوكيبورج . وفى أبريل ١٧٧١ غادر هردر استراسبورج ، وزار كارولينه فى دارمشتات وجوته فى فرانكفورت ، ووصل إلى بوكيبورج فى الثامن والعشرين . فوجد الكونت حاكماً « مستبداً مستنيراً » من طراز إدارى صارم ، أما المدينة فكانت قروية فى كل شىء إلا الموسيقى ، التى كان يحسن تزويدها بها يوهان كريستوف فريد ريش باخ ، وراض هردر نفسه على الانفصال عن التيار الرئيسى للفكر الألمانى ، ولكن الكتب التى أصدرها فى مكانه الصغير أثرت تأثيراً قوياً فى ذلك التيار ، وأسهمت فى تشكيل الأفكار الأدبية للحركة الزوبعية . وقد أكد للكتاب الألمان أنهم إن التمسوا الإلهام فى جذور الأمة وحياة الشعب فسوف يأتى الوقت الذى يبزون فيه الفرنسيين فى كل ما حققوه. وقد تحققت هذه النبوءة فى الفلسفة والعلم .

وقد ظفر بحثه فى أصل اللغة (١٧٧٢) بالجائزة التى قدمتها أكاديمية برلين عام ١٧٧٠ . ومع أن هردر كان يجهر بتدينه مخلصاً ، إلا أنه رفض الفكرة التى تزعم أن اللغة من صنع الله وحده ؛ وقال إنها من صنع البشر ، وأنها نتجت طبيعياً من عمليات الإحساس والتفكير . وألمع إلى أن اللغة والشعر كانا واحداً باعتبارهما تعبيرين عن الانفعال ، وأن الأفعال ، المعبرة عن الفعل ، كانت أول أقسام الكلام » . وفى مجلد آخر سماه « فلسفة أخرى مضافة إلى فلسفات التاريخ » (١٧٧٤) عرض التاريخ على أنه « الفلسفة الطبيعية للأحداث المتعاقبة » فكل حضارة هى وجود بيولوجى له مولده وشبابه ونضجه وانحلاله وموته ؛ ويجب أن تدرس من وجهة نظر عصرها ، دون تحيزات مبنية على بيئة وعصر آخرين . وقد أعجب هردر إعجاب الرومانتيكيين عموماً بالعصور الوسطى لأنها زمان الخيال والوجدان ، والشعر والفن الشعبيين ، والبساطة والسلام الريفيين ؛ وعلى نقيض ذلك كانت أوربا بعد النهضة عبارة عن عبادة للدولة ، وللمال ، وللترف الحضرى ، وللتكلف والافتعال ، وللرذيلة . وانتقد التنوير لأنه عبادة لوثن العقل ، وقارن بينه وبين ثقافات

اليونان والرومان مقارنة لا تخدم التنوير . ولقد أبصر هردر يد الله كما أبصرها بوسويه فى العملية التاريخية كلها ، ولكن الواعظ المفوه كان أحياناً ينسى لاهوته ، ويرى أن « التغيير العام للعالم كان يقوده الإنسان أقل كثيراً مما يقوده قدر أعمى »(٦٦) .

وحمله شعوره بالوحدة إلى أن يطلب إلى كارولينه وزوج أختها أن يأذنا له بالحضور والزواج منها رغم ضآلة دخله . فوافقا ، وزف الحبيبان فى دارمشتات فى ٢ مايو ١٧٧٣ . ثم عادا إلى بوكيبورج ، واقترض هردر بعض المال ليجعل دار القسيس بيتاً مبهجاً لزوجته . وقد بذلت له زوجته الخدمة والحب الخالص مدى الحياة . وبفضل وساطتها انقشع الفتور الذى ران من قبل على المودة بين هردر وجوته ، وحين وجد جوته نفسه فى موقف يسمح له بتزكية الراعى لوظيفة أسخى عطاء ، أسعده أن يفعل ذلك . وفى أول أكتوبر ١٧٧٦ وصل هردر وكارولينه إلى فايمار ، وانتقلا إلى البيت الذى أعده لهما جوته . ولم يبق الآن سوى عضو واحد ليكتمل عقد الرباعى الذى سيضع شهرة فايمار .

٥ — شيلر فى سنى تطوبفه ١٧٥٩ — ١٧٨٧

ولد يوهان كريستوف فريدريش شيلر فى ١٠ نوفمبر ١٧٥٩ بمدينة مارباخ فى فورتمبرج . وكانت أمه ابنة صاحب فندق الأسد ، وأبوه جراحاً — ثم ضابط برتبة الكابتن — فى جيش الدوق كارل أويجين ؛ وكان يتنقل مع فوجه ، ولكن زوجته أقامت أكثر الوقت فى لورش أولود فجزبرج . وفى هاتين المدينتين تلقى فريدريش تعليمه . وقد نذره أبواه للقسوسية ، ولكن الدوق اقنعهما بأن يبعثا به وهو فى الرابعة عشرة إلى كارلسشولى (مدرسة كارل) فى لود فجزبرج (ثم فى شتوتجارت) ، حيث يعد أبناء الضباط لمهنة المحاماة أو الطب أو الجندية . وكان نظام المدرسة نظاماً عسكرياً صارماً ، والدراسات مجافية لطبيعة غلام فيه حساسية مرهفة تقرب من حساسية الفتيات . وكان رد فعل شيلر أن تشرب كل ما وجد إليه سبيلا من

الأفكار الثورية ، ثم صبها (١٧٧٠ — ١٧٨٩) فى مسرحية « اللصوص » التى فاقت جوتز فون برليشنجن تعبيراً عن الحركة الزوبعية .

وفى ١٧٨٠ تخرج شيلر فى الطب ، وأصبح جراحاً لفوج فى شتوتجارت . وكان راتبه ضئيلا ، وسكن حجرة واحدة مع الملازم كايف . وكانا يجهزان طعامهما وأكثره من السجق والبطاطس والخس ، ثم النبيذ فى المناسبات السارة . وقد شق على نفسه ليكون رجلا له كل حس الجندى بالمعركة والجعة والمواخير ، وزار المومسات اللاتى يختلفن إلى المعسكر[٦٧] ؛ ولكنه لم يكن يسيغ الابتذال والسوقية ، فالنساء فى نظرته المثالية أسرار غامضة مقدسة يجب أن يدنو منها الرجل فى إجلال ورعدة . وكانت صاحبة الدار واسمها لويزة فيشر أرملة فى الثلاثين ، ولكنها إذا عزفت على الهاربسيكورد « فارقت روحى جسدى الترابى الفانى »[٦٨] ، وتمنى لو « انى التصقت إلى الأبد بشفتيك » . . . لا تشرب أنفاسك »[٦٩] . وهى طريقة مبتكرة فى الانتحار .

وحاول عبثاً أن يجد ناشراً لمسرحية « اللصوص » ، فلما أن أخفق ، وفر واقترض ثم طبعها على نفقته (١٧٨١) . وقد أدهش نجاحها الناس حتى مؤلفها ذا الإثنين والعشرين ربيعاً . وفى رأى كارليل أنها بدأت « عصراً فى الأدب العالمى »[٧٠] ، ولكن ألمانيا الوقور صدمها أن المسرحية لم تترك ناحية من نواحى الحضارة الراهنة إلا أدانتها . وذكرت المقدمة التى صدر بها شيلر تمثيلته أن نهايتها تبين عظمة الضمير وأذى التمرد .

وخلاصة التمثيلية أن كارل مور ، وهو الإبن البكر للكونت المسن مكسمليان فون مور ، يخصه أبوه بحبه لما اتسم به من مثالية وسماحة خلق ؛ ومن ثم يحسده ويبغضه أخوه فرانتز . ويرحل كارل ويدخل جامعة ليبزج ، ويتشرب مشاعر التمرد التى تضطرب بها صدور شباب أوربا الغربية . فلما الح الدائنون فى مطالبته بالدين ، راح يندد بعباد المال القساة الذين «يلعنون الصدوقى الذى يقصر فى الحضور إلى الكنيسة بانتظام ، ومع أن تقواهم لا تخرج عن عد مكاسبهم ، المجلوبة بالربا ، على مذبح الكنيسة ذاته »[٧١] .

ثم يفقد كل إيمان بالنظام الاجتماعى القائم ، وينضم إلى عصابة من اللصوص ، ويصبح زعيماً لها ، ويقسم يمين الولاء لها حتى الموت ، ثم يهدىء ضميره بلعب دور روبن هود . ويصفه أحد أفراد العصابة بهذه العبارات :

« انه لايقتل كما نقتل طمعاً فى شيء يسلبه ، أما المال . . . فيبدو أنه لايعبأ به مثقال ذرة ، فثلث الغنيمة الذى هو حق خالص له يعطيه لليتامى ، أو ليعين به شباب الكلية المبشرين بمستقبل مرموق . أما إذا وقع فى براثنه عين من أعيان الريف الذين يسومون فلاحيهم سوء العذاب كأنهم الأنعام ، أو وغد يرفل فى فاخر الثياب ممن يعوجون القضاء ليخدم مآربهم . . . أو أى رجل من هذا النوع — عندها يا بنى يتجلى على فطرته ثائراً هادراً كأنه شيطان رجيم »(٧٢) .

ويندد كارل برجال الدين لأنهم يتملقون السلطان ويعبدون صنم المال سراً ، « وخيرهم لايتردد فى أن يخون الثالوث الأقدس كله فى سبيل عشرة شواقل »(٧٣) .

ويدبر فرانتس فى غضون هذا ابلاغ الكونت فى رسالة كاذبة أن كارل مات . ويصبح فرانتس الوريث لثروة أبيه ، ويتقدم لخطبة أميليا التى تحب كارل حياً أو ميتاً . ويدس فرانتس السم لأبيه ، ويهدىء وخز ضميره بالإلحاد : « لم يثبت بعد أن فوق هذه الأرض عيناً ترقب كل ما يجرى عليها . . . ليس هناك إله (٧٤) . ويسمع كارل بجرائم أخيه ، فيقود عصابته إلى قلعة الأب ويضرب حصاراً على فرانتس ، فيتضرع هذا إلى الله مستميتاً فى التماس العون ، فإذا لم يصله عون قتل نفسه . وتقدم أميليا نفسها لكارل شريطة أن يقلع عن حياة اللصوصية ؛ وهو تواق إلى هذا ، غير أن أتباعه يذكرونه بتعهده البقاء معهم حتى الموت . فيحترم تعهده ، وينصرف عن أميليا ؛ ولكنها تتوسل إليه أن يقتلها ، فيستجيب لها ، وبعد أن يرتب أن ينال عامل فقير المكافأة المرصودة للقبض عليه ، يستسلم للقانون وللمشنقة .

وهذا كله بالطبع هراء . فالشخوص والأحداث يستحيل تصديقها ،

والأسلوب منمق طنان ، والخطب لاتطاق ، والفكرة عن المرأة مثالية على نحو رومانسي . ولكنه هراء قوى . ذلك أن فينا كلنا تقريباً تعاطفاً خفياً مع أولئك الذين يتحدون القانون ؛ فنحن أيضاً نحس أنفسنا أحياناً وقد ضيقت علينا الخناق وأرهقتنا آلاف القوانين والأوامر التى تكبلنا أوتغرمنا وقد طال اعتيادنا على المنافع التى وهبنا إياها القانون حتى أننا لنأخذها قضايا مسلمة ؛ ونحن لا نشعر بتعاطف طبيعى مع الشرطة حتى نقع ضحية من ضحايا التمرد على القانون . ومن ثم وجدت التمثيلية المطبوعة قراء متحمسين واستحساناً حاراً ، ولم تمنع شكاوى الوعاظ والمشرعين ، الذين زعموا أن شيلر مجد الجريمة ، أحد النقاد من أن يحييه لأنه يعد بأن يصبح شكسبيراً « ألمانيا »[٧٥] ، ولا منعت المخرجين من أن يقترحوا إخراج المسرحية .

وعرض البارون فولفجانج هريبرت فون دالبرج أن يقدمها على المسرح القومى بمانهايم إذا وضع لها شيلر نهاية أسعد . ففعل : واقتضى التعديل أن يتزوج مور أميليا بدلا من أن يقتلها . وتسلل شيلر من شتوتجارت دون أن يستأذن الدوق كارل أو بجين قائده الحربى ليحضر العرض الأول للمسرحية فى ١٣ يناير ١٧٨٢ . وأقبل الناس من فورمز ودارمشتات وفرانكفورت وغيرها من المدن ليشهدوا التمثيل.ولعب أوجست افلاند دور كارل ، وكان من ألمع ممثلى الجيل ؛ وأبدى النظارة استحسانهم بالصياح والتشيج ، ولم تلق مسرحية ألمانية أخرى من قبل مثل هذا الاحتفاء[٧٦] ، وكانت قمة فى الحركة الزوبعية . وبعد المسرحية كرم الممثلون شيلر وتودد إليه ناشر من مانهايم ، وشق عليه أن يعود إلى شتوتجارت ويستأنف حياته جراحاً للفوج . وفى شهر مايو تسلل ثانية إلى مانهايم لشهد عرضاً آخر لمسرحية « اللصوص » ، وليناقش مع دالبرج الخطط لمسرحية ثانية . فلما أن عاد ثانية إلى فوجه ، وبخه الدوق وحظر عليه تأليف المزيد من التمثيليات .

ولم يقو على تقبل هذا الحظر . فى ٢٢ سبتمبر ١٧٨٢ هرب إلى مانهايم فى صحبة صديق يدعى أندرياس سترايشر . وهناك قدم لدالبرج تمثيلية جديدة سماها « مؤامرة فييسكو فى جنوه » . وقرأها على الممثلين ،

فحكموا بأنها هابطة هبوطاً مؤسفاً عن مستوى « اللصوص » ، وقال دالبرج أنه قد يخرج المسرحية إذا راجعها شيلر ؛ فعكف شيلر أسابيع على هذه المهمة ، ولكن دالبرج رفض حصيلة هذا الجهد . ووجد شيلر نفسه لا يملك فلساً . وأنفق سترايشر على إعاشته النقود التى ادخرها ليدرس الموسيقى فى همبورج . فلما نفدت ، رحب شيلر بدعوة للإقامة فى باورباخ فى كوخ تملكه السيدة هنرييتا فون فولتسوجن . وهناك كتب تمثيلية ثالثة سماها « الدسيسه والحب » . ووقع فى غرام الآنسة لوته فون فولتسوجن البالغة من العمر ستة عشر ربيعاً . ولكنها آثرت عليه منافساً فى حبها . وظفرت « فييسكو » التى نشرت فى غضون هذا بتوزيع جيد . وندم دالبرج ، وأرسل إلى شيلر دعوة ليكون كاتب التمثيليات المقيم لمسرح مانهايم براتب قدره ثلاثمائة فلورن فى العام . فوافق (يوليو ١٧٨٣) .

ونعم شيلر بعام من السعادة القلقة رغم كثرة ديونه التى عجز عن سدادها ورغم ما أصيب به مرة من مرض خطير . وعرضت فييسكو على المسرح أول مرة فى ١١ يناير ١٧٨٤ ، وقد أفسدها ما أصر عليه دالبرج من نهاية سعيده سعادة لا يمكن تصديقها ، ولم تثر المسرحية أى حماسة من النظارة . بيد أن « الدسيسة والحب » كانت أفضل بناء ، وأقل خطباً ، وأظهرت حساً متزايداً بالمسرح ؛ وقد رأى فيها البعض ، من وجهة النظر المسرحية ، أفضل المآسى الألمانية قاطبة(٧٧) . وبعد أن فرغ الممثلون من العرض الأول (١٥ أبريل ١٧٨٤) ضج النظارة بتصفيق صاخب حمل شيلر على أن يقوم من مقعده فى إحدى المقصورات وينحنى للجمهور .

كانت سعادته مفرطة قصيرة الأجل . ذلك أنه لم يكن بطبيعته صالحاً للتعامل مع الممثلين ، الذين كانوا على شاكلته تقريباً فى عصبيتهم ؛ فقد قسا فى الحكم على آدائهم ، ولامهم على عدم حفظ أدوارهم حفظاً دقيقاً(٧٨) . ولم يستطع أن يكمل تمثيلية ثالثة سماها « دون كارلوس » فى الزمن المشروط . فلما أن قارب عقده « كاتباً للمسرح » الانتهاء فى سبتمبر ١٧٨٤ رفض دالبرج تجديده . ولم يكن شيلر قد ادخر شيئاً ، فعاد من جديد يواجه الإملاق والدائنين الذين فرغ صبرهم .

فى هذه الفترة أو نحوها نشر بعض « الرسائل الفلسفية » التى تدل على أن الشكوك الدينية قد أضيفت إلى مشكلاته الاقتصادية . فهو لم يستطع تقبل اللاهوت القديم ، ومع ذلك اشمأزت روحه الشاعرة من الإلحاد المادى ، كذلك الذى عبر عنه دولباخ فى كتابه « مذهب الطبيعة » (١٧٧٠) . ولم يعد قادراً الآن على أن يصلى ، ولكنه كان يحسد القادرين على الصلاة ؛ وقد وصف فى إحساس بالخسارة الفادحة ذلك العزاء الذى يهبه الدين لآلاف النفوس فى ظروف الألم والحزن والاحتضار (٧٩) . على أنه احتفظ بإيمانه بحرية الإرادة ، وبالخلود ، وبإله مجهول ، بانياً هذا كله ، كما بناه كانط ، على الوجدان الأخلاقى . وقد أعرب فى عبارة لاتنسى عن مبدأ المسيح الأخلاقى « حين أبغض أنتزع شيئاً من نفسى ، أما حين أحب فإننى أزيد ثراء بما أحب . والصفح معناه أن أتلقى ثروة فقدت . وكراهة البشر إنما هى انتحار بطىء »(٨٠) .

وسط هذه الظروف المعقدة جمل كرستيان جوتفريد كورنر حياة شيلر بصداقة من أروع الصداقات فى تاريخ الأدب . ففى يونيو ١٧٨٤ أرسل إلى شيلر من ليبزج رسالة تنم على الإعجاب الحار ، مشفوعة بصور له ، ولخطيبته منا شتوك ، وأختها دوراً ، وخطيب دوراً لودفج هوبر ، ومحفظة جيب طرزتها منا . أما كورنر هذا فقد ولد فى ١٧٥٦ (قبل مولد شيلر بثلاثة أعوام) لراعى كنيسة القديس توماس التى قاد فيها باخ قبل جيل الكثير من الموسيقى الخالدة . وقد نال الشاب أجازته فى القانون وهو فى الحادية والعشرين ، وكان الآن مستشاراً لمجلس الكنيسة الأعلى فى درسدن . وأخر شيلر رده حتى ٧ ديسمبر ، إذ كان مرهقاً بمتاعبه وهمومه . ورد عليه كورنر يقول « نحن نقدم لك صداقتنا دون تحفظ ، فاحضر إلينا بأسرع ما تستطيع »(٨١) .

وتردد شيلر . وكان قد كون صداقات فى مانهايم ، ووقع فى غرام العديدات ، لا سيما (١٧٨٤) شارلوته فون كالب ، التى تزوجت قبل

ذلك بعام واحد . وفى دارمشتات ، فى ديسمبر ١٧٨٤ ، التقى بالدوق كارل أوجست أمير ماكسى — فايمار ، وقرأ عليه الفصل الأول من « دون كارلوس » ، ونال لقب Rat أو المستشار الفخرى ، ولكن لم يصله أى عرض بمكان فى سماء فايمار . ومن ثم فقد قرر أن يقبل دعوة كرونر لليبزج . وعليه ، ففى ١٠ فبراير ١٧٨٥ أرسل إلى المعجب الذى لم يعرفه بعد نداء عاطفياً يظهره قريباً من نقطة الانهيار .

« فى الوقت الذى يهرع فيه نصف سكان مانهايم إلى المسرح . . . أطير إليكم أيها الأصدقاء الأعزاء . . . فمنذ أن تلقيت خطابكم الأخير لم تبرحنى قط الفكرة بأننا مخلوقون بعضنا لبعض ، لا تسيئوا الظن بصداقتى إذ تبدو متعجلة بعض الشيء . فالطبيعة تطرح الكلفة فى رضاها عن بعض الكائنات . والنفوس النبيلة ترتبط بخيط رقيق كثيراً ما يتبين أنه طويل البقاء .

« فإذا ما التمستم العذر لرجل تدفىء قلبه أفكار عظيمة ولكنه لم ينجز غير أفعال صغيرة ؛ رجل لايستطيع إلى الآن إلا أن يحدس من حماقاته أن الطبيعة رصدته لشيء ما ، ويطالب بالحب الذى لاحدود له ، وهو مع ذلك يجهل ما فى وسعه أن يقدمه رداً على هذا الحب ؛ ولكنه رجل يستطيع أن يحب شيئاً ما يتجاوز شخصه ، ولا يعذبه شيء كرؤيته نفسه بعيداً كل البعد من أن يكون ما يشتهى أن يكونه ؛ أقول إذا تطلع رجل هذه طبيعته إلى صداقتكم فإن صداقتنا ستكون أبدية ، لأننى أنا ذلك الرجل . فلعلكم ستحبون شيلر ، حتى إن كان تقديركم للشاعر قد تضاءل » .

وقد توقف عن إكمال هذا الخطاب ، ولكنه استأنفه فى ٢٢ فبراير :

« لاأستطيع المقام بعد اليوم فى مانهايم . . . فلا بد لى من زيارة ليبزج والتعرف إليكم . إن نفسى متعطشة لغذاء جديد — لناس أفضل — للصداقة ، والمودة ، والمحبة . لا بد أن أكون قريباً منكم ، وبفضل حديثكم وصحبتكم ستنتعش روحى الجريحة . . . يجب أن تهبونى حياة جديدة ، وسأصبح خيراً مما كنت فى أى وقت مضى . سأكون سعيداً — إننى لم أنعم بالسعادة قط إلى الآن . . أتراكم ترحبون بمقدمى ؟ » (٨٢) .

ورد كورنر فى ٣ مارس يقول « سنستقبلك بأذرع مفتوحة » ثم نقد ج. ى. جوشن الناشر الليبزجي بعض المال ليرسل إلى شيلر مقدم أتعابه عن مقالات مستقبله [٨٣] . فلما أن وصل الشاعر إلى ليبزج (١٧ مارس ١٧٨٥ كان كورنر غائباً فى درسدن ، ولكن خطيبته ، وأختها ، وهوبر ، ادفأوا شيلر بالطعام والحفاوة البالغة . وأحبه جوشن لتوه ، وكتب يقول « لا أستطيع أن أصف لك مبلغ عرفان شيلر واستجابته حين تبذل له النصيحة الناقده ، ومبلغ جهاده فى سبيل تطوره الخلق » [٨٤] .

والتقى كورنر بشيلر أول مرة فى ليبزج فى أول يوليو ، ثم قفل إلى درسدن . وكتب إليه شيلر يقول « لقد جمعت السماء بيننا بطريقة عجيبة ، وصداقتنا معجزة . » ولكنه أردف أنه أشرف على الإفلاس من جديد [٨٥] . فبعث إليه كورنر بالمال ، والطمأنينة ، والنصيحة :

« إن كنت فى حاجة إلى المزيد فاكتب لى وسأرسل لك أى مبلغ برجوع البريد . أنني لو كنت ذا ثراء طائل ، وكان فى استطاعتى . . . أن أرفعك فوق العوز والحاجة لضروريات الحياة فى يوم من الأيام . لما جرؤت على أن أفعل هذا ، فأنا عليم بأنك قادر على كسب ما يفى بكل حاجاتك بمجرد أن تشرع فى العمل . ولكن اسمح لى — على الأقل سنة واحدة — بأن أعفيك من ضرورة العمل . فى استطاعتى أن أدبر هذا دون إعسار ، وفى استطاعتك أن ترد لى المال إن شئت حين تسمح بذلك ظروفك » [٨٦] .

وزاد من قدر هذا الجود أن كورنر كان يجهز نفسه للزواج . وزف العروسان بدرسدن فى ٧ أغسطس ١٧٨٥ . وفى سبتمبر لحق بهما شيلر وعاش معهما ، أو على حسابهما ، حتى ٢٠ يوليو ١٧٨٧ . فى هذه الفترة أو نحوها — ربما وسط سعادة العروسين — كتب أشهر قصائده « أغنية للفرح » التى أصبحت تاج السمفونية التاسعة . وكلنا يعرف ميلودية بيتهوفن المؤثرة ، ولكن القليلين منا ، خارج ألمانيا ، من يعرفون كلمات شيلر . وقد بدأت بنداء للمحبة الشاملة ، وانتهت بدعوة للثورة :

أيتها الفرحة المنبثقة من لهب سماوى
يا ابنة الفردوس ،
إننا نقبل إلى هيكلك
ملتهبين بتلك النار المقدسة .
أنت صاحبة التعاويذ التى وحدت
من باعدت التقاليد الرهيبة بينهم ،
كل الناس يصبحون أخوة
حيث يمتد جناحاك الرفيقان .

الكورس : نحن نجمع الملايين بين أحضاننا ،
ونرسل قبلتنا إلى الدنيا بأسرها !
أيها الأخوة ، ان وراء السماء المرصعة بالنجوم
يسكن أب محب .
من جرب النعيم المقيم
فى صداقة الأصدقاء ،
ومن ظفر بعذراء محبوبة
ليشاركنا فى ابتهاجنا .
ومن سبى قلبا
يملكه دون الناس أجمعين —
ومن أخفق ، فلينصرف
عن جماعتنا باكيا .

الكورس : كل ساكن للكون الكبير
يقدم الإجلال للمبحة
وهى تتقدم الطريق إلى النجوم
حيث يملك الآله المجهول .
إن القلوب الباسلة الرازحة تحت الآلام
تمد يد العون حيثما يبكى الأبرياء .
والعهد الذى لا يخذل أبدا

obeikandl.com

والوفـاء للصـديق والعـدو !
وتحدى الملوك ، والروح الجريئة ،
وإن كلفتنا المال والدم أيها الأخوة ،
التيجـان لأشـرف مستحقيها
والموت لكل سلالة الكذابين !

الكورس : اقفـل الدائـرة المقـدسـة
وأقسـم بـالخمـرة الذهبيـة !
أقسم بالوفاء بهذه العهود المقدسة
أقسـم بـرب الفـلك .

وظل كورنر يعول شيلر عامين أملا فى أن يصوغ الشاعر فى شكل لائق تلك المسرحية التى قصد بها تصوير الصراع بين فليب الثانى وابنه كارلوس ، ولكن شيلر طال توانيه وتسويفه للتمثيلية حتى فقد المزاج الذى بدأها به ، ولعل ازدياد اطلاعه على التاريخ غير نظرته إلى فليب ؛ ومهما يكن الأمر ، فقد غير الحبكة حتى افتقدت الوحدة والتسلسل . « وفى غضون هذا (فبراير ١٧٨٧) وقع فى غرام هنرييتا فون أرنيم ، واستهلكت الخطابات الغرامية مداد قلمه ، بينما كانت هى تتصيد خطيباً أغنى منه . وأقنع كورنر شيلر بأن يعتكف فى إحدى الضواحى حتى يفرغ من مسرحيته . وأخيراً تمت (يونيو ١٧٨٧) ، وعرض مسرح همبورج أن يخرجها . وانتعشت معنوية شيلر وكبرياؤه ، فلعله الآن يرى جديراً بالانضمام إلى كوكبة الأدباء المتألقة حول الدوق كارل أوجست ، أما كورنر الذى تنفس الصعداء فقد وافقه على أنه ليس للشاعر مستقبل فى درسدن . ثم إن شارلوته فون كالب كانت فى فايمار ، بغير زوج ، تغريه بالمجىء . وعليه ، فى ٢٠ يوليو ، وبعد الكثير من عبارات الوداع ، ركب شيلر منطلقاً من درسدن إلى حياة جديدة . فوصل فايمار فى الغد ، وهكذا اكتمل عقد الزمرة العظمى .

obeikandl.com